رابط المادة على منصة باحث

تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 7- سورة مريم | من الأية 14 إلى 54

عبدالرحمن العجلان

الله سبحان الله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذكروا في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه يا ابتي لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا - 00:00:00

يا ابتي اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا يا ابتي لا تعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا يا ابتي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا - 00:00:36

يقول الله جل وعلا بعبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واذكر في الكتاب ابراهيم اذكره على سبيل الثناء عليه فيما اتصف به من الصفات الحسنة ثم وصفه جل وعلا بقوله - 00:01:07

انه كان صديقا نبيا الصديق صيغة كلمة صديق صيغة مبالغة اي كثير الصدق او كثير التصديق لا يتكلم الا بكلام صدق ويصدق ما يبلغه عن الله جل وعلا وما يبلغه عن رسل الله - 00:01:55

ولهذا سمي ابو بكر رضي الله عنه افضل هذه الامة بعد نبيها الصديق بانه سارع الى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما اتى به عليه الصلاة والسلام - 00:02:54

ولم يكن عنده اي تردد فكلما قيل له ان صاحبك يقول كذا وكذا قال صدق ويصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وحينما اخبر صلى الله عليه وسلم انه اسري به - 00:03:22

الى بيت المقدس وعرج به الى السماوات العلى في ليلة بعد العشاء وعاد قبل الفجر وبيت المقدس من مكة مسيرة شهر والسماوات العلى بين العرض والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام - 00:03:55

وبين كل سماء وسماء مسيرة خمسمائة عام وكسف كل سماء مسيرة خمسمائة عام لما اخبر صلى الله عليه وسلم بالاسراء والمعراج كذبه المشركون وفرحوا بذلك ظنا منهم ان المسلمين يتوقفون - 00:04:33

ولا يصدقون الرسول صلى الله عليه وسلم فاسرع بهذا الخبر احدهم الى ابي بكر الصديق رضي الله عنه لعله يكذب بذلك. لان هذا لا يدركه العقل لو كان الامر شيئا عاديا - 00:05:15

لكن قدرة الله جل وعلا لا يعجزها شيء ولا يصعب عليها شيء تسارع احدهم الى ابي بكر وقال اعلمت ما قال صاحبك قال وماذا قال فقص عليه ما سمع فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه قولته المشهورة - 00:05:41

ان كان قاله فقد صدق فمن يومها سمي ابو بكر بهذه الصفة العظيمة الصديقة صديق هذه الامة رضي الله عنه والله جل وعلا وصف ابراهيم بانه صديق ثم تدرج من اعلى من ادنى لاعلى لان صفة الصديق دون النبوة - 00:06:14

فقال صديقا نبيا يأتيه الخبر من الله جل وعلا ويبلغ الامة ما يخبره الله جل وعلا به انه كان صديقا نبيا اخبر الناس بهذا الخبر لان كفار قريش يزعمون انهم على ديني ابراهيم - 00:06:55

واليهود يقولون ان ابراهيم يهودي والنصارى يقولون ان ابراهيم نصرانيا فكذبهم الله جل وعلا كلهم وقال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما فهو عليه الصلاة والسلام - 00:07:32

الوحيد من الانبياء بان الطوائف تعظمه وتزعم الانتساب اليه ومتابعته فنوع الله جل وعلا عنه في كتابه العزيز حيث انه القدوة فقال

واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا - 00:08:09
اذ قال لابيه اذكر مقالته لابيه وقوله اذ قال لابيه بدل اشتمال من قوله واذكر في الكتاب ابراهيم وقوله جل وعلا انه كان صديقا نبيا جملة معترضة بين البدل والمبدل - 00:08:47
فكفار قريش يزعمون انهم على دين ابراهيم وانهم احفاد ابراهيم وعلى دينه فقال الله جل وعلا لمحمد اذكر خبره لهم ان كانوا صادقين في تبعيتهم له وقد نهى عن الشرك صلوات الله وسلامه عليه - 00:09:18
اذ قال لابيه يا ابتي ابوه كما قال الله جل وعلا واذ قال ابراهيم لابيه ازرا اتتخذ اصناما الهة اني اراك وقومك في ظلال مبين اذ قال لابيه يا ابتي - 00:09:48
على سبيل التلطف والرفق وهكذا ينبغي للداعية الى الله جل وعلا ان يرفق ويلطف المدعو لعله يستجيب لانه كما قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق في شيء الا زانه - 00:10:16
والله جل وعلا يقول ادعوا الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة اذ قال لابيه يا ابتي وكرر هذا اللفظ استعطافا لابيه والتاء هذه بدل من الياء اصلها يا ابي فحذفت - 00:10:50
الياء وجيء بالتاء بدلا عنها ولهذا لا يجمع بين التاء والياء ابدا يا ابتي لما تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا استفهام انكار لم تعبد من اتصف - 00:11:27
بهذه الصفات الثلاثة الذميمة فالمعبود يعبده العابد يرجو نفعه ويعمل ان يسمع كلامه ودعاءه ويبصر حاله لم تعبد ما لا يسمع لو دعوته ليل نهار ما سمع دعوتك ولو تعرضت له - 00:12:03
دائما وابدا ما رآك وما ابصرك صنم حجر او شجر او خشبة او بنا لا يسمع دعاءك ولا يبصر حالك ولا يغني عنك شيئا لا ينفعك ولا يدفع عنك ضر - 00:12:54
لا ينفعك بخير ولا يدفع عنك ضرر فبين له حال معبوده لينتبه وليرجع الى نفسه وليتأمل ان مثل هذا لا يصلح للعبادة ولعله حينما يبين له حال معبوده يسأل يقول - 00:13:39
ارشدني او دلني ثم تلطف به وناداه بلفظ الابوة مرة ثانية يا ابتي اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني احدك صراطا سويا هذا حال معبودك هذه صفته لا ينفع ولا يضر ولا يسمع ولا يبصر - 00:14:18
وانا عندي علم جاءني من الله فانا وان كنت ابنك واصغر منك سنا وقد جاءني علم من الله جل وعلا جاءني علم لم تعلمه ولم تطلع عليه والعلم ليس بالكبر - 00:15:09
وانما هو توفيق من الله جل وعلا اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك عندي ما ليس عندك فاتبعني اطعني فيما امرك به وانهاك عنه ادلك على الصراط المستقيم - 00:15:41
الموصل الى سعادة الدنيا والاخرة الطريق الموصل الى النجاة كرر النداء مرة ثالثة قائلا يا ابتي لا تعبد الشيطان انت بعبادتك هذه الاشجار والاحجار والاصنام عبدت في الحقيقة الشيطان لان الشيطان هو الذي امر بعبادة غير الله - 00:16:10
فهذه الاصنام لم تأمر بعبادتها ولا تدري عن شيئا لان شيء لانها جمادات وانما الذي امر بعبادتها هو الشيطان فمن عبد صنما كائنا ما كان فكانما عبد الشيطان والله جل وعلا يقول - 00:16:57
الم اعهد اليكم يا بني ادم الا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين ويقول جل وعلا في حق المشركين ان يدعون من دونه الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا. لعنه الله - 00:17:26
فابراهيم عليه السلام يقول لابيه بعبادتك الصنم تعبد الشيطان والشيطان عاص لله ومآل العاصي النار واذا عبدت من عصى الله ابو غضبك الله وعذبك ان الشيطان كان للرحمن عاصيا ان معبودك - 00:17:52
قد عصى الله جل وعلا امره الله جل وعلا بالسجود لادم فعصى وامتنع وطرده الله جل وعلا وابعده من رحمته وهو مطرود مبعد من رحمة الله بسبب معصيته لله جل وعلا - 00:18:33

ثم خوفه وحذره من سوء العاقبة مع تكرار النداء والتلطف قائلا يا ابتي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن هل هذا الخوف على بابه - 00:19:00

يعني يخشى ويحذر ام هو يقين قولان للمفسرين رحمهم الله قال بعضهم الخوف هنا بمعنى اليقين انا متيقن ان يمسك عذاب من الرحمن وقال بعضهم لا بل هذا الخوف على بابه - 00:19:39

لان ابراهيم لا يعلم عن حال ابيه هل يؤمن او لا يؤمن فانه يخاف ان يستمر على كفره فيحصل العذاب او يؤمن فيسلم من العذاب اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن - 00:20:08

بعبادتك الشيطان وطاعتك اياه فتكون للشيطان ولياها تكون للشيطان هو لي متابعة اذا استمررت على عبادة الاصنام كنت متابعا للشيطان وكنت من اوليائه والمراد بالولاية هنا الاتباع في الدنيا واما في الاخرة - 00:20:40

الا ولاية بينهم ولا محبة كما قال الله جل وعلا الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فالكفار في نار جهنم يلعنون الشيطان والشيطان يلعنهم يمقت بعضهم بعضا حين لا ينفعهم ذلك - 00:21:25

ولو عصوه في الدنيا ولم يطيعوه في الدنيا والاخرة لكن وقتهم اياه في الدنيا في الاخرة ولعنهم اياه ما يفيدهم شيئا يا ابتي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن - 00:22:06

وتكون للشيطان وليا بان من غضب الله عليه من اتباع الشيطان لان الله جل وعلا لا يغضب على من اتبع الرسل وانما يغضب على من عصى رسله واتبع الشيطان فاذا كنت من اولياء الشيطان - 00:22:34

تحقق العذاب لك في الدار الاخرة كما قال الله جل وعلا والله لقد ارسلنا الى امم من قبلك وزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم هو وليهم اليوم في الدنيا - 00:23:09

هو الذي يدفعهم الى الكفر ويتولى قيادتهم الى ما يغضب الله جل وعلا وهو وليهم اليوم ولهم عذاب عليم في الدار الاخرة وخبر ابراهيم مع ابيه على ابراهيم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام - 00:23:39

فيه عبر وفوائد جمة من ذلك التلطف في الدعوة حتى وان كان المدعو كافرا يعبد الاصنام والرفق بالقريب اكثر من والد ووالدة وقريب والله جل وعلا قال في حق الوالدين - 00:24:11

وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا صاحبهم في الدنيا بالمعروف وان كانا كافرين ويبذل المرء ما عنده من علم - 00:24:57

حتى وان كان لمن هو اكبر منه سنا ولا يقل الولد الصغير الذي عنده شيء من العلم يجهله ابواه اكبر مني واعرف يبذل ما عنده من العلم ويدعو ابويه الى الخير - 00:25:23

والى ما فيه السعادة فهذا من اكمل البر ان ينقذ الله الوالدين او احدهما لولدهما من المعصية او من الانحراف او من الوقوع في شيء من المخالفات فالولد ينهى اباه - 00:25:52

وامة عن المعصية عن التساهل في الصلاة عن التخلف عن صلاة الجماعة للوالد عن استعمال شيء من المحرمات من الخمر او الدخان من التعامل بالمعاملات المحرمة الغش والخديعة والربا وانواع المعاملات المحرمة - 00:26:31

ولتكن الدعوة باسلوب واضح جلي بين يستفيد المدعو ويدرك ما يقال له ويبين له سوء صنيعه والعمل السيء الذي هو واقع فيه يبين عيوبه ليدركها المدعو فلعله ان يرعوي ويبتعد - 00:27:13

فابراهيم عليه السلام اولا بين حال مدعو ابيه قال لم تعبد من هذه صفته اعبد من اذا دعوته سمع دعاءك واذا تضرعت اليه وخضعت بين يديه نظر نظرك بعين الرحمة - 00:28:23

واذا اراد نفعك نفعك ولو اراد عذابك قدر على ذلك وتضرع الى من بيده النفع وبيده الظرب لا يدعوه الى جهل مثل جهله او دونه لا يدعوه الى شيء بالظن - 00:29:11

الخرس او التخمين يدعوه الى علم ومعرفة ويرشده بانه سيدله على الصراط المستقيم يدله على الحق يدله على ما ينفعه صراطا

سويا. يعني مستقيما لا اعوجاج فيه وان المرء يبدأ - 00:29:52
من اقرب فالاقرب وكما قال الله جل وعلا بعبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين ويبين ان البعد عن الصراط المستقيم اتباع للشيطان وطاعة له وان زعم انه لم يطعه - 00:30:36
فهو ما عبد الاصنام الا طاعة للشيطان واتباعا له ويبين له مآل ما هو عليه من القبح والسوء ان مآله الى النار وان مآل ما يدعو اليه الى الجنة الله يهديك صراطا سويا - 00:31:11
ادلك على طريق مستقيم يوصلك الى رضوان الله وجنته ويخلص ويصدق الله في دعوته فاذا اخلص وصدق الله في دعوته فحري ان يستجاب له والداعي مأجور استجيب له اولى ان كان الله جل وعلا قد كتب الهداية للمدعو - 00:31:55
استجاب واستقام وللداعي مثل اجره من غير ان ينقص من اجره شيء من دعا الى هدى فله مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا وان لم يستقم المدعو - 00:32:37
فيؤجر الداعي وتبرأ ذمته وحينئذ يعلم ان الله جل وعلا لا يهذي من اضل من كتب لعليه الشقاوة والعياذ بالله وكما قال الله جل وعلا لعبده ورسوله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم - 00:33:04
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء فيخلص الداعي في دعوته ويطلب رضا الله جل وعلا ويرفق بالمدعو لينال الثواب الجزيل من الله جل وعلا مقتديا في ذلك بالخليلين - 00:33:34
عليهم الصلاة والسلام ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وعلى سائر النبيين وسلم تسليما كثيرا. والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:34:03